

## فلسفة التربية

كما يراها فروسف الغرب

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٤ —

—>>><<<—

### جولة في أغراض التربية

أوردت لك فيما سبق تفسير الفلسفة للتربية ، وكشفت عما بينهما من علاقة ، وأثبتت ضرورة الأولى للثانية ، ثم تناولت الثانية ذاتها ببعض الشرح والتحديد . وأحب اليوم أن أجول بك في « أغراض » هذه « العملية الكبرى » التي اصطلاحنا على تسميتها بالتربية والتعليم !

لم يتعلم الناس ؟ وفيهم تقام لهم هذه المدارس وتلك الجامعات التي تنفق فيها الجهود الطائلة والأموال الجسيمة ؟ أظنك قد أصبحت ترى معنى أن من حق الفلسفة بل من واجبها أن تناقش ما عسى أن يكون لهذه « العملية الكبرى » من أغراض ، علما تستطيع أن تهدينا إلى « الغرض الأسمى » !

والحق أنه إن لم يكن للتربية غرض واضح محدود صريح فإن عمليتها لا تعدو أن تكون ضرباً في الهواء مصيره الفشل المحتوم ؛ ولما كانت حياة « الأفراد » على ظهر الأرض واحدة لا رجعة لها ولا تكرار ؛ ولما كانت « التربية » هي الأداة التي تمدنا لهذه الحياة الواحدة القصيرة ، فإنه لا شك في ضرورة « إيجاد » ذلك « الغرض الأسمى » الذي نستطيع به — وبه وحده — أن نستغل « العمر » إلى أبعد حدود الاستغلال ، وأن نتمتع به إلى أقصى وأرفع حدود التمتع

ولكنك تعلم أن الفلسفة حينما تمرض لثل هذا « الشكل » لا تستطيع أن تنجو من ذلك « التباين » الهائل الذي يبدو في أغلب مذاهبها

يقول الأستاذ بولزن Paulsen في أسلوب عذب رشيق (١) « يريد المرء أن يلبس ويتعلم ، وأن يعمل ويكتسب ، وأن يملك وينعم ،

(١) أنظر A Louree Book of The Philos. of Educ at, on Kilpatrick by فصل أغراض التربية

وأن يكون ويخلق ، وأن يحب ويمج ، وأن يطيع ومحكم ، وأن يجاهد ويفوز ، وأن يردد الشعر ويحلم ، وأن يفكر ويبحث ، وأن يجرب علاقة الابن بأبيه ، والتلميذ بأستاذه ، والخدام بسيده ، وأن يعيش قنوعاً ، أخاً بين أخوة ، وصديقاً بين أصدقاء ، وزميلاً بين زملاء ، ومواطناً بين مواطنين ، وحبیباً وعدواً ، وزوجاً ووالداً وصريفاً ؛ كل ذلك على نحو طبيعي خاص ؛ فإذا ما تحقق له ذلك شعر أن حياته قد كملت ، وانتظر النهاية الأخيرة برضا وارتياح ، لأنه سيلحق بعدها بآبائه وأجداده . « (١)

وأنت ترى أن ذلك الغرض طويل غير مجمل وإن كان صحيحاً في كل أجزائه ، وأنه يرمي إلى تكوين الفرد الاجتماعي الناجح السعيد .

ويقول فيخته Fichte (٢) « إن غرض التربية هو تكوين الوطني العارف بمقوق الوطن وواجباته » . ولكن من ذا يستطيع أن يحمصر الحياة في دائرة الوطنية تحسب ؟ أليست الوطنية إحدى نواحي الحياة الشاملة الفسيحة ؟

ويقول هربارت (٣) « إن غرض التربية هو تكوين إنسان عارف بمقوق الإنسانية ؛ وإن غايتها القصوى هي اكتساب النضائل والتجلى بمكارم الأخلاق » . ولكن ترى ما هي حقوق الإنسانية التي يتركها لنا هربارت غامضة من غير ما تفسير ؟ وإذا كانت الأخلاق هي غاية التربية القصوى ، فأين يقع « التفكير الخالص » من هذه الغاية وقد وضعه « ارسطو » فوق جميع الغايات عند ما ينصب على أسس موضوعات التفكير وهو الله ؟

ويقول ديوي Dewey « إن غرض التربية الأسمى هو النمو (٤) » ولكن ما معنى النمو وما مقياسه المضبوط ؟ يلبس « ديوي » بنفسه ذلك الغموض ويرسم لنا مثلاً أعلى « للإنسان النامي » فإذا هو « كأن ذو عادات بصيرة حساسة بعيدة النظر خاضعة لمسئوليات أكثر » . وذلك قول جامع ولكنه لا يتخلو مع ذلك من غموض ...

ويقول الأستاذ ريدجر Ruediger (٥) « تلائم التربية بين

(١) قد تصرفنا في الترجمة قليلاً

(٢) أنظر كتاب الأستاذ السروسي في التربية والتعليم

(٣) أنظر كتاب الأستاذ السروسي أيضاً

(٤) أنظر مقالة في فلسفة التربية بدائرة معارف منو للتربية

(٥) أنظر كتابه The Principles of Education

ولكن واضح أن ذلك المستوى شعبي بحث لا يتناول « الفكر الراق » كما ينبغي أن يتناوله

\*\*\*

وتلك كما ترى آراء كثيرة توسع من مدى فكرنا وإن كانت لا تقف به عند رأى حازم جازم لأن طبيعة « الغاية الأخيرة » ذاتها تتطلب ذلك الخلاف مادام أن الأفراد أنفسهم هم الذين يتناولونها بالبسط والتحديد لأنها غايتهم . ويشعر الأستاذ ديوى Dewey نفسه بصعوبة الموقف فيقول : « ليس للتربية غاية أو غرض خاص ، ولذلك يجب أن نأخذ في حسابنا نشاط من يراد تعليمهم وحاجاتهم الطبيعية والاكتسابية عند ما نحدد للتربية والتعليم أغراضهما »

وبعقب الأستاذ يعقوب فام على هذا الرأى بقوله (١) : « ليس التعليم منفصلاً عن الحياة حتى يقال إنه وسيلة لها ، بل هو والحياة أمر واحد » ومعنى ذلك أن غاية التربية هي هي غاية الحياة . فترى ماذا عسى أن تكون تلك الغاية ؟ أم هي ذلك الثالوث الأقدس الذي ينادى به الأستاذ فيكتور كوزن في كتابه الطريف (٢) ثالوث الخير والحق والجمال ؟ أم هي « التفكير الخالص » في أمسي موضوعات التفكير كما يقول أرسطو ؟

ومهما يكن من شيء فإن الأستاذ « ديوى » يعطينا مقياساً طريفاً نطبقه على الأغراض « الطروحة » لنختبرها به وهو : (١) قيام الغرض على الظروف الراهنة (٢) وقدرته على القيادة والمرونة (٣) والاتفاق التام بينه وبين الوسيلة . ثم هو يعطينا مقياساً آخر تقيس به مواد الدراسة هو « درجة وطريقة تأجيله على الطالب من شعور بيئته الاجتماعية ، وما تمده من قدرة يفسر بها قواه الخاصة من ناحية قابليتها لخدمة المجتمع » ويفسر لنا الأستاذ « باجلي » مدى هذه « القابلية » بقوله : « إنها تتضمن أن يكون المرء فاعلاً في المجتمع منتجاً أو مرشداً للناس إلى الإنتاج ، متدخللاً في مجهودات الآخرين بأخلاقه الصالحة ، عاملاً على تكميل القوى الاجتماعية أى إنجاح الجماعة » ويعزز الأستاذ ديوى نفسه ذلك الرأى بقوله : « أعتقد أن كل تربية يجب أن ترمى إلى مشاركة الفرد في الوجدان الاجتماعي »

(١) انظر « التربية والأخلاق » للأستاذ

(٢) V. Lonsin - Du Bien, Du Vei, et du Beau - أنت

الفرد وبين عناصر البيئة المعترف بها في الحياة الحديثة ، وهي تعمل على تنمية وترتيب وتدريب قواه حتى تصبح ذات « فاعلية » مشروعة النفع » وذلك أيضاً قول دقيق لولا ما قد يتناوب « هذه الملازمة » من القضاء على روح الثورة في الناشئ . تلك الثورة التي يزيد ما منه كلما رأى ما هو جدير بها في حياة المجتمع

ويقول الأستاذ تورندايك « إن أقصى غايات التربية هو غرس رغبة « الخير » وتكوين القدرة على الحياة السعيدة والتمتع النبيلة البريئة » ولكن ترى ما هي الحياة السعيدة ذات التمتع النبيلة البريئة ؟ أما تحتاج هنا لتحديدتها ؟

أما « سنسر » فيلسوف التطور فيقول « إن غاية التربية هي أولاً وقبل كل شيء حفظ الحياة » . ولكن من الثابت الواضح أن « حفظ الحياة » وسيلة وليس بغاية ؛ إذ في سبيل أى شيء نحفظها ؟ يقول سنسر نفسه : « إن واجب التربية هو الاعداد للحياة بأوسع معانيها . وأهم ما في الحياة هو الحكم الصائب في كل الاتجاهات وجميع الظروف ، ثم تربية الجسم والعقل ، ثم الإعداد للعائلة والسعادة والوطن وخدمة المجتمع » وذلك كلام له وجهته الخاصة دون ماشك . ولكن ألسنا نرى فيه إغفالاً أو شبه إغفالاً لناحية الشمور بما فيه الدين ؟

ويسيطر لنا الأستاذ ريدجر Ruediger غرض الملازمة الآنف في فصل طريف غواه الحياة بالعقل والروح ثم بالجسد في جو خلاق دائم التجدد ، يقوم فيه الدين إلى جانب الفن ، ويتسلط فيه الإنسان تسلطاً عاقلاً على البيئة ، شاعراً بأنها وطنه الذي يجد فيه التمتع العقلية والفنية ، منتفعاً في نفس الوقت بكل ما فيها مما يفهمه ويقدره

أما الأستاذ Angel فيقول إن غرض التربية « هو النمو التشابه لقوى الفرد » وذلك قول له طرافة من الناحية النفسية التي تطالبنا بإيجاد التوازن بين قواها بحيث لا يبطئ فيها العقل على العاطفة ، أو العاطفة على العقل (١) ، ولكنه لا يزال بمد مفترقاً إلى « تشريع » يوجه هذا النمو التشابه في نواحيه المنسودة وأما أبناء العم سام فأغراض التربية عندهم هي :

- (١) عضوية الأسرة الناجحة (٢) المهنة الموقفة (٣) الفراغ المتع
- (٤) التمدن العاقل (٥) الصحة الحسنة (٦) الماملات اللطيفة

(١) في غير النواحي الخلقية بالطبع

## هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

— ❦ —

### الرؤى والوعاى

— ١ —

وعند ما تناقل البحارة خبر وجود زارا بينهم وكان بلغهم ذلك من رجل دخل السفينة معه قادماً من الجزر السعيدة ساد الجميع شيء من القلق وباتوا يتوقمون حدثاً في وجوده ، غير أن زارا بقى يومين جامداً تساوره أحزانه ؛ تحديقاً في الأنظار فلا يلتفت ، وتوجه إليه الأسئلة فلا يجيب . وأخيراً أصنى لا يقال حوله متوقفاً سماع أبحاث لها خطورتها تدور على هذه السفينة القادمة من بعيد . والتجهة إلى أماكن سحيقة . وما كان زارا لينفر من الأسفار . البعيدة ومن الأخطار ، وبعد أن أصنى طويلاً حلت عقدة لسانه فانطلق يقول :

— إليكم أيها الشذاذ الجريثون أيأا كنتم ، أيها المستسلمون للشرع الغدار على هاتجيات الأمواج

إليكم أيها الثملون بجمرة الأسرار ، المنجذبون بين خيوط الظلمات والأنوار ، إلى ثنات كل شيابة تنوح في الجاهل الخفية . إنكم تنفرون من نلس طريقكم بيد مرنجفة على ما نصب من دليلات الجبال إذ تفضلون الإدراك باللس على الإدراك بالإستقراء إليكم دون سواكم أوجه الخطاب لأخبر بما تجلى من ألتاز وبما خطر من رؤى لأشد الناس استغراقاً في عزائه .

لقد اجتزت النسق في أشد قترانه وجوماً . اقتحمته وقد تقلصت شفتاى وعلا وجهى الاغبرار وكنت شاهدت من قبل شموساً كثيرة تجنح إلى الفروب

رأيت أمانى طريقاً يتسلل على جروف المرتفعات ، طريقاً وعمراً تعزى جانباه من كل نبات فدفت عليه أفتداى أحمدها فأسمع صريف حصاه تحتها .

ولا بأس من أن نختم هذا الفصل بقول الأستاذ Kerschensteiner<sup>(١)</sup> وهو : « أننا لا نستطيع أن نحصر أغراض التربية في غرض واحد ، وكل ما هنالك أن التربية يجب أن تشمل الإبقاء على الماضى إبقاء لا إسترعيوبه ولا يعمينا عن خيرات الحاضر ، ثم الوقوف على الأزمنة والبيئات والطبقات المختلفة حتى نوسع من مدى اتصال الناس بعضهم ببعض ، ثم تمدن وعو الوحشية من بينهم ، أى انتشار العقول من الأودية الظلمة ، والعواطف من الفرائز الحيوانية ، ثم غربة الناشئين وتوجيه كل منهم إلى الطريق الذى يتفق وميوله الخاصة حتى يبلغ أقصى ما هو كفه له ، ثم غرس العادات الحسنة من غير استعباد الناشئ لها »

\*\*\*

وبعد ، فاذا تريد أن أقول ؟ وأى الأغراض تحب أن أزجها إليك ؟

أليس من الخير أن تترك هذا الباب مفتوحاً لرجال التربية فى الشرق ، كما يدلوا فيه بأرائهم السديدة ، ويرسوا لنا تلك « الناية الأخيرة » التى يجب أن ينشدها الشرق فى تربيته على الخصوص ؟

ثم أنت ترى المعاهد فى مصر كثيرة والخريجين أكثر ، فهل تستطيع أن تبين وراء تلك المعاهد « غرضاً واضحاً محدوداً » وهل تستطيع أن تلس « الطريقة » التى يحقق بها هذا النرض وما عسى أن يكون فيها من ضعف وقوة ؟

أحب أن تفكر فى هذا قليلاً . لا ، بل كثيراً

« شبرا » محمد حسن طائفا  
مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية

(١) أنظر كتاب Thomson - A modern Philos. of Ed.

كتاب المخرج في المصداق  
هنا خبرك كما نرى بعد ذلك الفرنسية نفسك  
سأعان جميع الكاب من كل منها مجلد ٦